خرائد المعاني ودُرَر الألفاظ في تأملات الشَّيخ رضوان في حاضرة تلمسان:

أ. محمود فتـــــوح

جامعة الشلف

إنه لمن واجب الوفاء والصدق أن نقف وقفة إجلال وتقدير واعتراف وامتنان لرجل أعطى الكثير للجامعة الجزائرية بعامة وتلمسان بخاصة، فهو الرجل الشهم والباحث الكبير أستاذنا الدكتور المميز الشَّيخ رضوان محمد حسين النجار الذي عرف كيف يوسع دائرة المعارف في البحث العلمي.

ونظرا لتعلق الشَّيخ رضوان بمدينة تلمسان إلى درجة الهيام، فإنه أحبّها وعشقها وأفنى بقية حياته بين دروبها حين وجد المتعة بين "زقاق الرّمان ودرب السُّمَّار، وأبواب سور الحمام والحديد والجياد والسَّجَّان، وباب الخميس الواقع

بين المنصورة وتلمسان (تلمسان الجديدة)، وقصبتها إمامة، حيث مقر الشّيخ رضوان في حاضرة تلمسان"[1].

وهذه المدينة احتضنته "قرابة ثلاثين عاما، ولا تزال ولله الحمد، حيث أحب جبالها وعشق سماءها وهوى بحرها واستنشق هواءها، وقد أعجب بسورها ووريطها، وامتزج علمه بعلومها امتزاج توأمتها ببيت المقدس في الأرض المباركة فلسطين، حيث تضم تُربَتها نزيل بيت المقدس ماضيا، ودفين العُبَّاد حاضرا، سيدي أبي مدين الغوث طيب الله تعالى ثراه"[2].

وهذا ما أدى به إلى التأمل في سوسنة من سواسن تآليف العصر الحديث لعاصمة بني زيان، في المصنَّفِ النمير لذلك العالم العربي الجزائري التلمساني النَّحرير، ونحن بدورنا نتأمل أهم الخرائد في المعاني وأجل الدرر في الألفاظ:

1. البراعة في تخير الألفاظ ونسجها:

أ. **براعة الاستهلال**: إن فاتحة كلام الشّيخ يدل على براعة الاستهلال وحسن الابتداء لما في كلماته من سهولة اللفظ، وعباراته من صحّة السَّبكِ، ومعناه من وضوح المعنى، ولذا قال البغدادي:"فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ...والبليغ إذا افتتح رسالة فمن سبله أن يكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه، وأوله ملخصا بآخره"[3].

والشَّيخ رضوان في بداية كلامه كان ذا صبغة تراثية مدججة بألفاظ جزلة مع قوة العبارات وأناقتها، فقد بدأ حديثه بالحمدلة والأفضلية التي منَّها الله سبحانه وتعالى على عباده من تشريفهم باللغة العربية، بجعلها "حِلية لنظم القرآن وعَلِقَ بها الإعجاز، فصار دلالةً على النبوة"[4]، من مبدأ أنها "خير اللغات والألسنة"[5]، وأنها "لما شرفها الله عز اسمه، وعظمها، ورفع خطرها وكرمها...حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الآجلة لساكني جناته"[6]. ولذا يقول:"الحمد لله رب العالمين، الذي شرف اللغة العربية على سائر اللغات، تشريف المرسل بها على جميع الأنبياء والرسالات...الذين سجدت لآدابهم جباه المناقب، وقبَّلت أخماص هممهم شفاه النجوم الثواقب"[7].

ب. توظيف الآية الكريمة والشعر العربي:

إن أولى الآيات القرآنية التي افتتح بها كلامه بداية سورة الفاتحة من قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[8]، وقوله:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[9]، لما تحمله الجملة القرآنية في الكلمة العربية، بمنزلة الفريدة من حَبَّات العقد.

وذكر الحديث النبوي الشريف والشعر العربي في مقام حديثه عن المؤلّف والكتاب ومحتوياته، حين عدَّد "سَوسَنة من سواسن تآليف العصر الحديث لعاصمة دولة بني زيان"، ونوَّه من خلاله أنه من واجبنا نحن الخلف حتى

نكون صالحين، أوفياء مخلصين للسلف السابقين، ونفخر أيما فخر وفخار بعلم الأولين والآخرين، قال:

تذَكّرنا قوما تُنوسي ذكرهم قروناً وأهل العلمِ حقّهم الذّكرُ

ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم، حين قال: أوليسَ«العلماءُ هم ورثة الأنبياء»"[10]، فالعالم الشَّيخ الأريب والمؤلف الأستاذ الأديب رمضان الشاوش يبقى معلقا في ذاكرة الشَّيخ، وفي سجل كل مقدّر للعلم، وتمنى أنه لو:

كُنّـــا نُؤَمِّـــلُ أن تدومَ حيَاتُهُ لّكِنَّهُ ثَـــوبُ الحـــيَـــاةِ قصِير[11].

فهذه سنة الحياة في خلقه، وأهدى الشَّيخ سطور كلماته إلى النشء الصاعد العربي الإسلامي الذي شعاره:

إنَّ الفتى من يَقولُ هَا أَنَـــذَا ليسَ الفتى من يقولُ كانَ أبي[12].

ج. التنسيق الوزني:

إن مما يزيد كلام الأديب جمالا وروعة وبهاءا توظيفه لألفاظ ذات تناسق وترتيب وزني حاملة في طياتها رنات موسيقية تحيي المعاني وتمكن الألفاظ من تحمُّل أقصى ما يمكن التعبير عنه، وهذا صادر عن سجية فطرية لشيخنا النجار وطبع سليم أصيل، ومن ذلك قوله: الميامين المنتخبين الغر المحجَّلين، جباه المناقب، شفاه النجوم الثواقب، الأستاذ الأديب، والعالم الأريب، دعائم الإيمان، أركان البنيان...[13]

و كلّ هذا دلالة كافية على تبيان مكنة و مكانة الشّيخ رضوان من النثر والشعر، وقدرته الفائقة في تخير الألفاظ لما تحمله من تناسق وزني، وتوفر وقعا موسيقيا ترحب به الأذن حين سماعه وتتفاعل معه القلوب، وذاك هو الإبداع عينه.

د. التدقيق العروضي:

إن المُكنة اللغوية لدى الشّيخ رضوان جعلته يتحكم في الوزن العروضي، ويتذوق البيت الشعري على سجية فطرية مع ذكر العلة العروضية وتتبع صاحب البيت ومصدره ورواياته[14]، ومن ذلك تأمله في البيتين الآتيين:

تِلمسْنُ يا بلـــدَ الأهِلَّـــهْ نَشرَ السّلامُ عليكِ ظِلــــّه

وَحَبتـــــكِ هَامـــاتُ المَآ ذنِ بالتَّـــحـــيَّـــةِ والـــتَّجلـــّه[15]

قال:"البيتان من قصيدة على الكامل المجزوء للشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد، وقام الشاعر بتصريع البيت الأول، حيث صرع العروض عن أصلها (متفاعلن) وحولها ملائمة للضرب المرفّل (متفاعلن)، وكان البيت الثاني برواية: (وحابتك)، وبهذه الصورة ينكسر الوزن والصحيح (وحبتك)، وبه يكون الوزن سليما معافى من الخطأ. وكذلك (تلمسان) في البيت الأول، الوزن بهذا الشكل مكسور، والأصح أن تكون:(تِلمَسْنُ)"[16].

٥. الطابع الإسلامي والروح الوطنية:

إن المتأمل في ألفاظ شيخنا الشَّيخ رضوان يجد أن أفكاره ومعانيه مستقاة من البيئة الإسلامية والحياة العربية لديه، والتي لا تخرج عن كونها حياة إسلامية.

ومن أسباب اختيار الشَّيخ لمؤلّف باقة السوسان، ما هو إلا لتأكيد دعائم الإيمان، وتوطيد أركان البنيان، بين فلسطين وتلمسان، لما لهذا المؤلف من ميزة خاصة بتمهيد كتابة بقصيدة شعرية للشاعر الفلسطيني رشاد بن يوسف أحمد حين وجده يمجد فيها بلد الجدار تلمسان.

والشَّيخ رضوان تأثَّر أيما تأثر الضارب في الأعماق، لما لتلك الصداقة والود بين أبناء فلسطين والشعب الجزائري، بتعاونهم وتآزرهم في بناء الصرح العلمي والمجد الأدبي، ولذا قال:"فإن علماء تلمسان قد أدَّوا قديما دورا علميا هاما في فلسطين، حيث أولوهم أهل فلسطين المناصب العليا، وقلدوهم المواقع الرفيعة الرائدة...حيث ولى القاضي برهان الدين أبو إسحاق التلمساني منصب القضاء المالكي،...وارتضى أهل فلسطين للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد التلمساني أن يتولى منصب قاضي القضاة في فلسطين"[17]، ثم ختم قوله:"الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة"[18].

وقد جاء في هذه التأملات ليرد الجميل مع ابن فلسطين، ويكرم بها ابن تلمسان الذي مجد فلسطين وأهلها، حيث قال:"وعلى كل ابن من أبناء فلسطين، ردُّ الحق، وأداء الفرض، وهأنذا أتحدث لعلّني أؤدي ذاك"[19].

ويفتخر بالطابع الوطني الإسلامي الذي يجمع بين فلسطين (مدينة القدس الشريف) وتلمسان، ويصفهما بالتوأمة لما بينهما من علاقة الصداقة والود والإحسان، وفيها يذكرنا بقول الأستاذ الجيلالي عبد الرحمن:"أنا لا أكاد أرتاح لذكر مدينة بلد الجدار تلمسان، إلا بذكر اسمها مقرونا باسم مدينة القدس المباركة من تلك الأرض المقدسة، أرض فلسطين"[20]، ويعدّ العلاقة بين البلدين علاقة متصلة منتظمة لا تنفصم عراها، ولا يزول بحول الله تعالى مقصدها ومبتغاها[21]. وهذا يدل على قوة إيمانه وشدة إخلاصه لوطنه، لأنه لا يمكن أن يكون المرء مخلصا لوطنه وهو مقصر اتجاه خالقه.

2. منزلة تلمسان بين دلالة الألفاظ وعمق المعاني:

بما أن خير جليس في الزمان كتاب، سعى الشَّيخ رضوان جاهدا في التأمل لكتاب (باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، دولة بني زيان) ليكشف عن اللآلئ والدُّرر من الألفاظ، مثله مثل الغواص على الدُّرر في قعر اليَّم، كلما وقع على خريدة تراءى له ما هو أسمى وأسنى، فيحار والله أيها يلتقط.

أ. تلمسان في نظر الشَّيخ:

تعددت مسميات تلمسان نظما في نظر الشَّيخ رضوان، إلى أكثر من ثلاثين اسما، شملت أكثر من ثلث حروف الهجاء العربي.

ففي حرف الباء يذكر أنه يجدها عند الشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد بمعنى: بلد الأهلة

تِلمسْنُ يا بلدَ الأهِلَّهْ نَشـــرَ السّلامُ عليكِ ظِلَّه[22]

ومرة أخرى: بلد الجداول:

بَـــلـــدُ الجَداولِ مَـــا أمَـــرَّ نَـــوَاهَا كَـــلِفَ الـــفؤادُ بحُبِّها وهَواهَا

ياعَاذِلِي كُنْ عَاذِري في حُبِّها يكفيكَ منها مَـــاؤهَـــا وهَواهَـــا[23]

و تتوالى مسمياتها بين الحروف العربية، ففي حرف الجيم جيَّمت حاضرة بني زيان جيما حسنا، وتأكّدت ما بين: جَوهَرةِ المغْربِ إلى جنَّة الأرض، ثم هي جنة الدنيا:

يا جَوهَرةَ المغْربِ يا نُورَ الأعَيانِ أنتِ جَنةُ الأرضِ يَشْتَهَاكِ كُلُّ إنسَانِ[24]

ومع حرف الخاء، جعلها خير دولة:

يا من أثـــــرتِ الـــعـــالمـــين يـــومَ كـــنـــتِ خـــيـــر دولـــــة

وفي حرف الدال، دوَّلت دولة الملك حول دارين: دار المُلكِ ودار العلم، وصاحب الأولى يقول:

سَلامٌ على تلكَ العُهودِ رَضيةً فعهد بَنـــي زيَّانَ بالـــفخر مُفعـــَمُ

فاكرمْ بدَارٍ هؤلاءِ بـــنَاتُها وأبـــنَـــاؤهَا ، إنَّ الخـــــلـــودَ لمـــُغرَمُ

وآخر دعوى المخْلصين تَحيةٌ تلمسانُ دار المُلكِ تَحْيي وتسلَمِ

أما صاحب دار العلم فيخاطب بها حاضرة بني زيَّان، بقوله:

تِلمسَانُ دَارُ العلم ساعَدَكِ الدَّهرُ بمَدرسَةٍ يشتاقهَا السعدُ والفخرُ[25].

ب. وصف جمال تلمسان:

مدينة تلمسان مدينة العلم والعلماء، ومن يزورها يعشق هواها وبهاءها، ومناظرها الخلابة وتراثها الشهم بجدارها الضخم، ولذلك يقول الشَّيخ رضوان:"تلك تلمسان، وما أدراك ما تلمسان، المدينة ذات الجمال الفتان، والمناظر الطبيعية الزاهية الألوان، والمساجد الرفيعة الأركان، حيث إنها كانت مقرَّ ذوي السلطان، من أمراء بني زيان، ذوي الأكاليل والتِّيجان، والصَّولَةِ والصَّولجانِ، وقد كان لهم بها ذكرٌ وعزٌّ شأنٌ، واحتوت بفضلهم من دون البلدان على خيرات حسان، ومعالم لا زالت شاخصة للعيان، تبهرُ كل سائح وفنانٍ، عبر العصور والأزمان، وتشهد بما كان لها في سالف الأوان، ومن التشيد والعمران، والرفعة والمكان"[26]. وهو ما أثبتَه الحاج محمد بن رمضان في باقة السوسان، بقوله:

تِلمْسَانُ أنتِ عَـــــروسُ الدُّنا وَ حُلمُ اللَّيالي وسَلوَى المُحِبِّ

والشَّيخ رضوان يَحِنُّ إلى تلمسان ويجعلها عين الغرب الفتان، وبه حازت كل محمودٍ بين البلدان والعربان، قال:"تلمسان هي الفردوسُ التي يحنُّ إليها رضوان، وكل إنسان من خليل الرحمن إلى وهران[27]:

مَالِي أَحِنُّ لكُم شوقاً تِلمسَـــانُ كمَا يَحِنُّ إلى الفِردوسِ (رَضْوانُ)[28]

وما لقلبي يَهفـــو كُلَّمَا طَرقَتْ أُذني بذِكركِ، والأَشـــواقُ نـــيرانُ

ولذا هي غُرَّةُ البلدان:

أَتِلمسَانُ رَعاكِ الله بالجُودِ وحَاكَ بردَكِ بالإفـــضَـــــالِ والجُودِ

وصَان سُورِكِ والأجلالُ دَخِلُـــهُ من شَرِّ ذي شَرٍّ، و من كَيدِ معقُود

وجمع الله شَملَ القَومِ في جَلدٍ هي السَّعادةُ بينَ الغِيدِ والـــصـــيدِ

كانت تُحدِّثني الرُّكبانُ عن شِيمٍ و عـــن علاءٍ لها يُرجى لِـــمقصُودِ

وأَنَها غُرَّةُ البُلدانِ من قِدَمٍ بين الجـــزائـــر حازت كُلَّ مَحْـــمُودِ

فتلمسان –في نظر الشَّيخ– هي قرارة تَهيام ومغنى صَبَابةٍ ثم مُنى النَّفسِ ومعهدُ أنس[29]، أضف إلى ذلك أنها:

مَهدُ العُلوم ومقصَدُ التَّاريخ عندَ بدايةِ كُلِّ جَوْلَه[30]

ثمَّ هي: مغْنى الهوى، مُرادُ المُنى، مَقَرُّ العُلا، لؤلؤة المغرب وغرناطة إفريقية[31]، وأيضا: ملهى الغواني، ومرقى الأماني[32]. وها هو ذا شاعرها أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي يقول:

يا حَيَا المُزن حَيِّهَـــا مـــن بـــلادِ غَرَسَ الحيُّ غَرسَهَا في فُـــؤَادِي

و تَعَاهَد معَاهدَ الأنـــسِ مِنها و عُهُودَ الصِّبا بصَوبِ العِهَـــادِ
حيثُ مَغْنى الهَوى وملهى الغواني و مُرادُ المُـنى و نَـيْـلُ المُـرادِ
ومَقَرُّ العُلا ومـــرقى الأماني ومحر القـــــنا ومجرى الجيَـــاد[33].

فهذه هي حاضرة بني زيَّان، وكل كلام قاله فيها الشَّيخ رضوان "على اتفاق معان واختلاف روي"[34]، وإن:

كُلُّ حُسْنٍ على تِلمســـان وقفٌ وخصوصاً على رُبـــى العُبَّادِ[35]

ب. نقد شعر امرئ القيس: يعدّ امرؤ القيس من أشعر شعراء العصر الجاهلي، نظرا للأثر الذي تركه في الأدب العربي ما لم يتركه شاعر عربي آخر، وظل الشعراء يعيشون على أفكاره وصوره أمدا طويلا، حيث سبقهم إلى فنون أجاد بها، من قدرته الفائقة على الوصف والتشبيه. ولذلك جعلوه "كبيرهم الذي يقرون بتقدمه، وشيخهم الذي يعترفون بفضله، وقائدهم الذين يهتمون به، وإمامهم الذين يرجعون إليه"[36]، زيادة على ذلك أنه قد احتج كل من تعرض لشعره بأنه "سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه والتبكاء على الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، وشبه الخيل والعقبان والعصي وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى"[37]، وربما كان من أبرز ما تميز به قوة شاعريته، وحسن وصفه، وروعة تشبيهاته، سببا في التميز والتفرد، حتى قال عنه ابن سلام:"كان

أحسن طبقته تشبيها"[38]، ويقول جرجي زيدان:"لا تكاد تقرأ له قصيدة إلا وجدت فيها أبياتا يصف بها فرسه أو ناقته، وقد فتقت الأسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعاني أو اقتباسها"[39].

غير أن كل هذه الميزات التي عُرف بها والشهرة التي كسبها، إلا أن الزمن مرّ وزال بأهله، ولم يكرر على شاكلة الشاعر في نسج الألفاظ وإحكام رصفها وبنائها، وهذا ما أدى بالشّيخ رضوان للتعمق النظر في أبيات ابن تلمسان الشاعر أبو عبد الله القيسي، الذي أغرى مدينته بشعر حين ذهب بزمانها بعيدا حيث العصر الجاهلي، مع حامل لواء شعر الجاهلية امرؤ القيس، حيث تأمل فيها وتمنى من خلالها أن الشاعر لو رأى مكاناً ساحراً مثل عاصمة دولة بني زيان لغاص في خرائد المعاني ودُرَرَ الألفاظ بشكل أفضل ما عُرف به، يقول:

فلو امْرؤُ القَيسِ بن حُجرٍ رَآهَا قِدماً تَسَلَّى عن مَعَاهِد مَأسَـــلِ
لَو حَـــامَ حولَ فَنَائِهَا وَظِبَائِها ما كَان محتفـــلاً بحومَةِ حَومَلِ[40]

ثم خاطبه شيخنا النجار بقوله:"إنه إغراء ما بعده إغراء يا امرأ القيس، فهيا إلى امتطاء فرسِك المِكَرِّ المِفرِّ، المُقبلِ المدبر الذي هو: كجُلمودِ صخرٍ حطَّه السَّيلُ من علٍ[41]، ولتأت من بطن ذي الرُّكام العقنقل، إلى طِمِيَةِ المُجَيْمِرِ وهضبة لالٌ ستِّي، ثم رؤوس تلمسان، الصاغة والقصبة، ورأس البحر والمصدع، وتزور جوهرة المغرب أقادير تلمسان، ثم الإقامة بعين الحوت حيث مقر الإدريسي

محمد بن سليمان، لتشرب من عين العيون، عين أم يحيي المتواصلة النبع والجريان[42]:

و منهُ ومن عَيْنِ أمِّ يحيي شرابُنا لأنَّهَا في الطِّيب كالنِّيلِ بل أحلى[43]

ومن شدّة تعلّق الشّيخ رضوان بتلمسان ، فإنه يعزم القول على صاحب القوة الشاعرية ومتعة البيان، وينوّه بكلامه على شدّة الهيام للشاعر في ذلك الزمان، فيقول:"فما جدوى البكاء هناك يا امرأ القيس على معاهد مأسل وغدير دارةِ جُلجُل حيث رُبَى الدَّخول وتلال حومل، مالَكَ وضياء الذُّبال المُفتل، وحصون تيماء وجَندلِ"[44]، ثم يصف المتعة الحقيقية لجمال تلمسان وبهاءها، فيقول شيخنا النجار: "وهنا كُدية العُشاق وغدير الجوزة، وربوع عطار وقبة المنار وسبع شيوخ ووادي الفحول"[45]، ثم يخاطبه:"أما لك يا مَرقسيُّ من عِوضٍ عن شمِّ هواء جنوب وشمأل، وما جاءت به الصَّبا من ريَّا القرنفُل، لشمِّ نسيم تلمسان، والتجوال في في بستان (جنان) بنت الملاح القرطبي[46]، على طريق واد الصفصيف، حيث المياه باردة وجارية في كل مكان"، ثم يقول:"ألا آن لك الآن من ترك عُنيزة وأُم الحُويرث وجارتها أُم الرَّباب.. وفاطمة العذرية، لتدندن مع فاطمة سَهلة تلمسان، ومشاهدة الغِيدِ الغزلان، وظباء حاضرة بني زيَّان"[47].

ثم يعزم ويُلح عليه بالتوقف عن التنواح على شقائق النعمان في ذلك الزمان، وليلتفت إلى ظباء أهل تلمسان، فيقول شيخنا رضوان: "اترك وحش

وجرة وأساريع ظبي ومساوك إسحل، فهَهُنا القُمريَّة شبيهة البدر حين يبان، ضاوية الغرَّة غصن البال والبان مطبوعة الألماح، كأنها من شقائق النعمان، وإذا نفَّذت وعدك القائل:(وأنّك مهما تأمري القلب يفعل)[48]، فإنك لعمري واجد في تلمسان تلك التي تقدح بسهميها في أعشار قلبك المُقتّل"[49].

وكل من يدخل تلمسان، يطلبُ ودَّ حاضر بني زيان، ويبقى عاشقا هائما في عيونها عبر مرور الزمان:

تلمسانُ لو أنَّ الزمان بها يَسخُو مُنَى النَّفسِ لا دارُ السَّلامِ ولا الكرخُ

و لو أن الزمان بها يسخو، لعاف من أجلها الشهباء رضوان والفيحاء مروان، نعم يا ابن آكل المُرَّار، ها هي ذه تلمسان:

تلمسانُ إني في حِمَى المَجد مُكرَمُ وإنّي بالآثـــارِ والبحثِ مُغرمُ

وإنَّكِ في دُنيا الفُنُونِ لتُحفةٌ (كجنَّة عَـــــــــدنٍ، والبلادُ جَهَنَّمُ)

وفي كُتبِ التاريـــخِ ذِكرُكِ عَاطرٌ (وإنَّك للأشرافِ حِصنٌ ومَنْعَمُ)

3. علماء تلمسان في عيون الشَّيخ رضوان:

أبدى الشَّيخ رضوان كلمة حق وشهادة صدق للمورد العذب (باقة السوسان في حاضرة تلمسان)، انصافا لشيخنا الكريم، لما في كتابه من عماد متين وكنز ثمين لأهل تلمسين، بل للعالمين، فهو يضم في هذا السفر النفيس فوائد مخبوءة كشفها الشَّيخ رضوان، وأشعار مجهولة نسبها لأهلها[50]، عبر لفظ

فصيح ونظم صحيح، وقول جزل ورأي فصل، وبه أخلق به موردا يكون غُنية العالِم ومُنيةَ العالَم.

وكان عنده ابن تلمسان الأحوذي الحاج محمد بن رمضان، كوكبا في سماء أدب العرب، وعلما من علماء اللغة وأعلام الأدب، صانعا ماهرا يُمحِّص حقائق العربية، ويوغِل في البحث حيال مكنوناتِها، ويضع الأشياء وفق مواضعها، فقد وفق بعون الله المعين، لتقديم موادِّ الكِتاب لغيره من الكُتاب، مائدة منسقة ذات طعام نافع وفكر ناجح، حيث أماط اللثام وعبَّد الطريق، وأوضح النهج ومهَّد السبيل، وجعله مصدر غناء للأديب علما وأدبا، نثرا كان أم نظما، وهذا الكتاب أمنية تمناها أهل تلمسان بخاصة، وأهل لغة الضاد بعامة[51].

وإن هذه المميزات التي قالها الشَّيخ رضوان ما هي إلا نخبة من فرات زاخر، وبلغة من زاد قيِّم وافر، فجازى الله شيخنا الكريم: الأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار خير الجزاء، جزاء ما لاقى من أرق وتعب ونصب، وحفظه الله الحفيظ وأطال في عمره وبارك في أيامه.

ومن مسك الختام لابد من كلمة أقولها:

ما الفَخرُ إلا لأهلِ العلمِ إنَّهُـــمُ ... على الهُدى لِمَنِ اسْتَهدَى أدِلاَّءُ

وقَدر كُلِّ امْرئ مَا كانَ يُحسنُهُ ... والجَاهـــلونَ لأَهْـــلِ العِلـــمِ أعدَاءُ

فَفُـــز بِعلمٍ تَعِش حَيّـــاً بـــه أبـــدا ... النَّاسُ مَـــوْتَى وأهـــلُ العلِ أحيَـــاءُ

الهوامش:

[1] رضوان النجار: تأملات الشَّيخ رضوان في حاضرة تلمسان وباقة السوسان، ص26.

[2] بالتصرف ينظر: المصدر نفسه، ص32.

[3] أبو الطاهر البغدادي:قانون البلاغة،(مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي) القاهرة، ط4، 1374هـ، ص450.

[4]- الباقلاني: إعجاز القرآن، ص118 .

[5]- الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، ص05 .

[6]- المرجع نفسه، ص06 .

[7] رضوان محمد حسين النجار: تأملات الشَّيخ رضوان في حاضرة تلمسان، ص13_14.

[8] سورة الفاتحة، الآية2.

[9] سورة الأنبياء، الآية 107.

[10] تأملات الشَّيخ رضوان، ص15. وينظر:شاوش محمد رمضان: باقة السوسان في حاضرة تلمسان،ص533.

[11] المصدر نفسه، ص15.

[12] نفسه، ص17.

[13] ينظر: تأملات النحار، ص15_17.

[14] ينظر مؤلفاته: العروض العربي، والمنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة.

[15] رمضان شاوش: باقة السوسان، ص05.

[16] ينظر: تأملات الشّيخ رضوان، هامش 14، ص37-38.

[17] المصدر نفسه، ص17_18.

[18] نفسه، ص34.

[19] نفسه، ص19.

[20] نفسه، ص18.

[21] عبد الرحمن الجيلالي: تلمسان والقدس الشريف، ص110.

[22] رمضان شاوش: باقة السوسان، ص05.

[23] البيتان لابن مرزوق الخطيب، ينظر:محمد عبد القادر:تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق ممدوح حقي، بيروت لبنان، 1384هـ، ص18. وينظر: باقة السوسان، ص39.

[24] تأملات الشّيخ رضوان، ص 21.

[25] المصدر نفسه، ص22.

[26] نفسه، ص28، وينظر: باقة السوسان، ص18.

[27] نفسه، ص23.

[28] البيت للشاعر التلمساني سعيد بن عبد الله المنداسي(ت1088هـ): ينظر هامش باقة السوسان، ص566:

مالي أحن لكم شوقا تلمسان كما يحن إلى الفردوس رهبان .

[29] كما قال ابن خميس متشوقا لوطنه تلمسان:

لو أن الزمان بها يسخـــو مُنى النَّفس لا دارُ السلامِ ولا الكرخُ

قرارةُ تِهيَامٍ ومغْنى صبابةٍ و معهـــدُ أُنسٍ لا يُلـــدُّ بـــه لطـــخُ

ينظر:أزهار الرياض،324/2. ينظر: هامش باقة السوسان، ص481.

[30] البيت للشاعر الفلسطيني رشاد يوسف أحمد.

31 باقة السوسان، ص125.

[32] تأملات الشَّيخ رضوان، ص23_24.

[33] ينظر الأبيات: أزهار الرياض، 330/2.

[34] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، 95/3. وباقة السوسان، ص26.

[35] ينظر البيت في: أزهار الرياض للمقري، 330/2. وباقة السوسان، ص308. والعبّاد: اسم القرية المدفون بها الشَّيخ أبو مدين شعيب عليه سحائب الرحمة.

[36] – الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر،دار المعارف بمصر،ط3،1971م، ص372.

[37]- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، 1974، ج1، ص55. وينظر:ابن قتيبة: الشعر والشعراء،تحقيق:أحمد محمود شاكر، دار المعارف،1958، ج1،ص110.

[38]- المرجع نفسه، ج1، ص55.

[39]- تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، دت، ج1،ص95.

[40] قالهما القيسي مخاطبا امرأ القيس في قوله في مطلع معلقته الجاهلية:

مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ وَمَنْـــزِلِ بِسقْطِ اللّوى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ

الديوان، ص21-22. وينظر أبيات القيسي: بغية الرواد ليحيي ابن خلدون 14/1, وباقة السوسان، ص50.

[41] ينظر البيت في الديوان:

مكر مفر مقبل مُدبر معاً كَجلمود صَخر حطه السّيل من علِ

[42] تأملات الشّيخ رضوان، ص25.

[43] البيت لمحمد بن أبي جمعة التلاسي. ينظر: بغية الرواد، 15/1. وباقة السوسان, ص500-501.

[44] تأملات الشّيخ رضوان، ص26.

[45] باقة السوسان، ص478.

[46] بنو الملاح:من الأسر الأندلسية التي اشتهرت بحسن التصرف في مال بنو الملاح القرطبيون الذين نزلوا بتلمسان، فاتخذهم بنو عبد الواد أمناء على بيت المال. ينظر: باقة السوسان، ص402.

[47] تأملات الشَّيخ رضوان، ص26.

[48] ينظر البيت في الديوان:

أَغَّركِ مِنِّي أنَّ حُبَّك قَاتلِي وَأَنكِ مَهمَا تَأمُرِي القَلبَ يَفعَلِ

[49] تأملات الشَّيخ رضوان، ص26.

[50] ينظر هامش رقم 11،15 و17 و22 من : تأملات الشَّيخ رضوان، ص37-38.

[51] المصدر السابق، ص30-31.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: - القرآن الكريم

- الحديث النبوي الشريف

ثانيا: المصادر:

-النجار، رضوان محمد حسين: تأملات الشَّيخ رضوان في حاضرة تلمسان وباقة السوسان، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، العدد 19، 2012.

ثالثا:المراجع:

-امرؤ القيس: الديوان، جمعه وشرحه ياسين اللأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

-الباقلاني، أبو بكر: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر،دار المعارف بمصر،ط3،1971م.

-البغدادي، أبو الطاهر:قانون البلاغة،(مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي) القاهرة، ط4، 1374هـ.

-الثعالبي:فقه اللغة وسر العربية، تحقيق أملين نسيب، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1998م.

-الجمحي، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، 1974.

-الجيلالي، عبد الرحمن: تلمسان والقدس الشريف، مجلة الأصالة(عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها)، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الرابعة، ع26، 1975.

-ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1321هـ.

-زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، دط، دت.

-شاوش، محمد رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، تعليق الغوثي بن زيان، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1995.

-عبد القادر، محمد: تحفة الزائر في تاريخ علماء الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق ممدوح حقي، بيروت لبنان، 1385.

-ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمود شاكر، دار المعارف،1958.

-المقري، أبو العباس أحمد: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، القاهرة مصر، 1318.

-النجار، رضوان محمد حسين: العروض العربي، مطبعة برصالي، تلمسان الجزائر، ط1، دت.

-النجار، رضوان محمد حسين: المنظومة في العروض والقوافي والمصطلحات الموسومة، مطبعة برصالي، تلمسان الجزائر، ط1، 2007.